الدعوة إلى شرائع الإسلام

عن ابن عباس ﷺ: أن معاذاً قال: بعثني رسول الله ﷺ قال: «**إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم أو ليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**»[1]. رواه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم.

إن الدعوة إلى التوحيد هي أول ما يدعو به الدعاة إلى الله؛ لأنها أساس كل عمل وبها يدخل الإنسان في حظيرة الإيمان، وبدونها لا يكون لدعوته وزن ولا قيمة، ولما كان إرسال معاذ إلى من يقر بالإله والنبوات وهم أهل الكتاب، أمره بأن يكون أول ما يدعوهم إليه توحيد الله، والإقرار بنبوة محمد ﷺ، فإنهم وإن كانوا يعترفون بالإله، إلا أنهم يجعلون له شريكاً، لدعوة النصارى أن المسيح ابن الله، ودعوة اليهود أن عزيراً ابن الله سبحانه وتعالى عما يقولون، ويزعمون أن محمداً ليس برسول أصلاً أو أنه ليس برسول إليهم على اختلاف آرائهم في الضلالة، فكان هذا أول واجب يدعون إليه.

وإنما أمر الرسول صلوات الله وسلامه عليه معاذاً بالمطالبة بالشهادة؛ لأن ذلك أصل الدين فلا يصح شيء من صلاة أو زكاة أو صيام أو حج أو غير ذلك من فروع الدين إلا بهذا الأساس الذي يتمثل في شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فمن كان منهم غير موحد على التحقيق فهو مطالب بكل واحدة من الشهادتين، ومن كان موحداً فالمطالبة له بالجمع بين ما أقر به من التوحيد وبين الإقرار بالرسالة.

---

(1) أخرجه **البخاري** في (الحديث: 1395) و(الحديث: 1458) و(الحديث: 4347)، وأخرجه **مسلم** في (الحديث: 121).

فإن هم أطاعوا في شأن الشهادتين، وفيما يتصل بالأساس وهو التوحيد، فإنه ينتقل بهم إلى مقتضيات التوحيد والشهادة إلى الجانب العملي التطبيقي الذي يتمثل في العبادات والأعمال من الصلاة التي هي عماد الدين.

والصلاة تلي الشهادتين مباشرة فهي أعظم واجب بعدهما، ثم بعد الصلاة تكون الزكاة، فهي أوجب الأركان بعد الصلاة، ثم يأمره في أخذ صدقاتهم أن يتبع الوسط، فلا يُخَصُّ بكرائم المال وأنفسه، ولا هم يعطونه شرار المال وأرداه؛ بل يأخذ الوسط، فإن طابت نفس صاحب المال بكرائمه صح ذلك وجاز.

ثم يحذِّره من دعوة المظلوم، وفي هذا تأكيد لاتباع جانب العدل وأن العدل به تقوم أسس الحياة الكريمة الفاضلة، والظلم هو سبب كل شر وهلاك إنه ظلمات يوم القيامة كما جاء في الحديث: «**اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم**»[1]، ولأن دعوة المظلوم مقبولة، وقد بين في الحديث بأنه ليس بينها وبين الله حجاب، وهي من الدعوات التي لا ترد كما قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حين يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويقول الرب: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين**»[2].

أما عن شروط شهادة أن لا إله إلا الله: **فالشرط الأول**: هو العلم المنافي للجهل؛ لأن معرفة الله سبحانه وتعالى واجبة، فواجب المسلم أن يعرف ربه وما يليق بجلاله وما يتنزه عنه، مما لا يليق به سبحانه وتعالى. وأما **الشرط الثاني**: وهو اليقين المنافي للشك، فهو ما أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: 108]، فالمؤمن ذو يقين لا يخامره شك بحال من الأحوال ولا يرتاب في أمر دينه وعقيدته. قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ...﴾ [الحجرات: 15]، **والشرط الثالث**: وهو القبول المنافي للردّ فلا بد للمسلم من قبول ما تقتضيه عقيدة التوحيد، ومن العمل بما جاءت به الشريعة، فإنه إن أقر بالتوحيد وشهد الشهادة ولم يقبل ولم يطبق ما تمليه الشهادتان عملياً، فليس ذلك

(1) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 2/92).

(2) أخرجه الترمذي في (الحديث: 2526) و(الحديث: 3598)، وأخرجه ابن ماجه في (الحديث: 1572).

بصحيح ولا كامل، وأما **الشرط الرابع**: فهو الانقياد المنافي للترك وهذا يتمثل في إقبال الإنسان إلى الإسلام، وعلى الطاعات التي يطالب بها من صلاة وصيام وزكاة وحج وبر وجهاد وصلة وغير ذلك من أنواع الانقياد والطاعة.

والشرط الخامس: الإخلاص المنافي للشرك، وهذا واضح من قول الله سبحانه: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: 110].

ومن قول الرسول ﷺ: **«إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً»**[1].

والسادس: الصدق المنافي للكذب، فإن الصدق من دلائل الإيمان، وأما الكذب فإنه يتنافى مع الإيمان، بل هو من علامات النفاق كما جاء في الحديث: **«آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان»**.

والسابع: المحبة المنافية لضدها، وقد أشار القرآن إلى دلائل هذه المحبة في طاعة الله تعالى ورسوله، واتباع الكتاب والسنة: قال سبحانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران: 31، 32].

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: 108].

إن الدعوة إلى توحيد الله سبحانه وتعالى، وإلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له هي سبيل الرسول ﷺ، وبها يدعو إلى ربه الواحد الأحد على يقين وبرهان، وعلم وبصيرة، ويدعو بهذه الدعوة من اتبع الرسول صلوات الله وسلامه عليه، وآمن به وصدقه فيما جاء به فاتبع طريق الهدى والنور، وكما أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يعلن للناس سبيله وسبيل من اتبعه بتوحيد الله فقد أمره كذلك بتنزيه الله سبحانه وأنه بريء من أهل الشرك.

أما أهل الشرك فإنه بريء منهم، فلا معبود إلا لله، ولا استعانة إلا بالله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة: 5]، وتظهر دلائل التوحيد في كل عمل صالح لا

(1) أخرجه النسائي في (الحديث: 5/ 25) و(الحديث: 6/ 25).

يبتغي به صاحبه إلا وجه الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾.

وقد حذر الإسلام من الشرك في الاعتقاد وفي العبادة أو في العمل، وفيما رواه مسلم يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه: **«أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه»**[1].

والدعوة إلى توحيد الله عامة شاملة للجانب العقدي وجانب العبادة؛ لأن أساسها التوحيد، وجانب العمل والجهاد، وكل معروف أو إصلاح بين الناس لا بد وأن يقصد به فاعله وجه الله تعالى وحده لا شريك له، فأما إذا شاب العمل قصد آخر، فإنه بعيد عن روح الإسلام، بعيد عن جوهره، بعيد عن القبول. فالجهاد لا بد أن يكون في سبيل الله، وأن يكون القصد منه إعلاء كلمة التوحيد، فأما إذا كان الجهاد للمغنم أو للذكر أو للشهرة فليس في سبيل الله.

عن أبي موسى الأشعري أن أعرابياً أتى النبيّ ﷺ فقال: يا رسول الله، الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: **«من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»**[2]. ويؤكد القرآن الكريم ثمرة التوحيد والإخلاص لله وثمرة القيام بأعمال الخير والمعروف والإصلاح حين تكون ابتغاء مرضاة الله فلصاحبها الأجر العظيم.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء: 114].

والدعوة إلى سبيل الله إنما تكون بالحكمة والموعظة الحسنة كما قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: 125]،

---

(1) أخرجه مسلم في (الحديث: 7400).

(2) أخرجه البخاري في (الحديث: 2810)، وأخرجه مسلم في (الحديث: 4896)، وأخرجه أبو داود في (الحديث: 2517)، وأخرجه الترمذي في (الحديث: 1646)، وأخرجه النسائي في (الحديث: 3136)، وأخرجه ابن ماجه في (الحديث: 2783).

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله في معنى الآية الكريمة: ذكر سبحانه مراتب الدعوة وجعلها ثلاثة أقسام بحسب حال المدعو، فإنه إما أن يكون طالباً للحق محباً له إذا عرفه فهذا يُدعى بالحكمة ولا يحتاج إلى موعظة وجدال، وإما أن يكون مشتغلاً بضد الحق لكن إذا عرفه آثره واتبعه، فهذا يحتاج إلى الموعظة بالترغيب والترهيب، وإما أن يكون معانداً معارضاً فهذا يجادل بالتي هي أحسن، فإن رجع وإلا انتقل معه إلى الجدال إن أمكن.

وليس لأحد أن يقتصر على نفسه فيما يتصل بهذه العقيدة، وإنما الواجب عليه أن يدعو غيره، وأن يعمل صالحاً وأن يعلن هذه العقيدة ويدعو إليها. قال الله سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: 33].

وليست عقيدة التوحيد مجرد شعار يتردد وليس الإيمان قولاً ينطق به الإنسان فحسب، وإنما للإيمان دلائله وأركانه، وله مقتضياته وتضحياته صدقاً في القول وإخلاصاً في العمل وبذلاً للمال، وتضحية بالنفس في سبيل الله ويقيناً لا ارتياب فيه. قال تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات: 14، 15].

فإذا انقاد الناس وأطاعوا للشهادتين وآمنوا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبسيدنا محمد ﷺ نبياً ورسولاً، فيترتب على إيمانهم وتصديقهم أن يبرهنوا عملياً على هذا الإيمان بالعبادة والعمل، وأول ما يكلفون به «الصلاة» **«فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة»** وطاعتهم بالصلاة تتمثل في إقرارهم بوجوبها أو طاعتهم بفعلها.

فمن امتثل بأحدهما كفاه، والأولى الامتثال بهما.

فإن هم أطاعوه لذلك: **«فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم»**.

والمراد بالصدقة: هي الزكاة المفروضة التي أوجبها الله سبحانه وتعالى. ومما يؤكد أن المراد بها الزكاة المفروضة ما جاء في رواية الفضل بن العلاء: افترض زكاة في أموالهم تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم.

وإنما ذكر الفقراء وحدهم وخصهم دون سائر المستحقين من مصارف الزكاة الباقية لكون الفقراء هم الأغلب من تلك الأنواع، وللمطابقة بينهم وبين الأغنياء. والضمير في قوله: «**فقرائهم**» يعود على المسلمين فلا يجوز صرف الزكاة للكافر، وحيث كان المراد بالمسلمين أهل اليمن فيترتب على ذلك امتناع نقل الزكاة من بلد المزكي. هذا وقد أجمع الفقهاء على أنه يجوز نقل الزكاة إلى بلد آخر إذا استغنى عن الزكاة أهل بلد المزكي ولم يكونوا محتاجين.

وأما إذا لم يستغن أهل بلد المزكي وكان فيهم المحتاجون إليها ففي نقلها من البلد إلى بلد آخر آراء للعلماء:

فيرى الأحناف أن نقل الزكاة من بلد المزكي إلى بلد آخر مع وجود المحتاجين مكروه، إلا إذا نقلها المزكي لبعض قرابته المحتاجين؛ لأن في ذلك صلة للرحم أو لأن في البلد الآخر بعض الفقراء الذين هم أشد حاجة من أهل بلده، أو بأن كان نقلها أصلح للمسلمين وأكثر نفعاً، أو لأن بلده دار حرب ويريد نقلها إلى دار الإسلام، أو إذا أراد نقلها لبعض طلبة العلم، فلا يكره نقل الزكاة في هذه الأحوال.

ويرى الشافعية: أنه لا يجوز نقل الزكاة، ويجب صرفها في بلد المزكي أي: بلد المال الذي وجبت فيه الزكاة إلا إذا لم يجد في بلده مستحقين.

عن عمرو بن شعيب أن معاذ بن جبل لم يزل بالجند ـ إذ بعث ـ رسول الله ﷺ حتى مات النبيّ ﷺ ثم قدم على عمر، فرده على ما كان عليه، فبعث إليه معاذ بثلث صدقة الناس، فأنكر ذلك عمر وقال: لم أبعثك جابياً ولا آخذ جزية ولكن بعثتك لتأخذ من أغنياء الناس فترد على فقرائهم. فقال معاذ: ما بعثت إليك بشيء وأنا أجد أحداً يأخذه مني، فلما كان العام الثاني بعث إليه بشطر الصدقة فتراجعا بمثل ذلك، فلما كان العام الثالث بعث إليه بها كلها، فراجعه عمر بمثل ما راجعه، فقال معاذ: ما وجدت أحداً يأخذ مني شيئاً، رواه أو عبيد.

وقال مالك: لا يجوز نقل الزكاة إلا أن يقع بأهل بلد حاجة، فينقلها الإمام إليهم على سبيل النظر والاجتهاد.

وقالت الحنابلة: لا يجوز نقل الصدقة من بلدها إلى مسافة القصر، ويجب صرفها في موضع الوجوب أو قربه إلى ما دون مسافة القصر.

وقد يكون المالك في بلد معين، وأمواله التي تجب فيها الزكاة في بلد آخر فأي البلدين أحق بصرف الزكاة فيه؟

إذا نظرنا إلى سبب وجوب الزكاة وهو المال وبلوغه النصاب، وأن ذلك في البلد الذي هو فيه تمتد إليه عيون الفقراء والمحتاجين، فيكون المعتبر حينئذٍ بلد المال، أي: البلد الذي فيه المال وليس للبلد الذي يقيم فيه المالك؛ لأن الزكاة تتعلق بمال المزكي لا ببدنه.

وهذا على عكس زكاة الفطر فلو كان المالك في بلد وماله في بلد آخر، فإنه يوزع زكاة الفطر في البلد الذي يقيم هو فيه والذي وجبت عليه زكاة الفطر فيه؛ لأن الزكاة تتعلق ببدنه وهو سبب الوجوب وليس المال.

وأما إذا كان بعض مال المزكي في البلد الذي يقيم فيه وبعضه في بلاد أخرى فعلى المزكي حينئذٍ أن يؤدي زكاة كل مال حيث هو[1].

وقال الإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: وقد استدل بهذه الأحاديث على مشروعية صرف زكاة كل بلد في فقراء أهله وكراهية صرفها في غيرهم. وقد روي عن مالك والشافعي والثوري: أنه لا يجوز صرفها في غير فقراء البلد.

وقال غيرهم: إنه يجوز مع كراهة لما علم بالضرورة أن النبيّ ﷺ كان يستدعي الصدقات من الأعراب إلى المدينة ويصرفها في فقراء المهاجرين والأنصار[2].

«فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب». وكرائم منصوب بفعل مضمر لا يجوز إظهاره، وهي جمع كريمة

(1) فقه السنة لفضيلة الشيخ سابق.

(2) نيل الأوطار للإمام الشوكاني.

أي: نفيسة، فلا يتحرى أخذ الزكاة وجامعها الاقتصار على أخذ خيار المال؛ لأن الزكاة لمواساة الفقراء فلا يناسب ذلك الإجحاف بمال الأغنياء إلا إن رضي الأغنياء بذلك.

والمراد بقوله: «**واتق دعوة المظلوم**»، النهي عن الظلم والبعد عنه وتجنبه لئلا يدعو عليه المظلوم، وفي هذا التوجيه تنبيه على المنع من جميع أنواع الظلم والحكمة في النهي عن الظلم بعد النهي عن أخذ كرائم الأموال للإشارة إلى أن الاقتصار على كرائم الأموال ظلم.

وقيل: إن قوله: «**واتق...**» معطوف على عامل «**إياك**»، المحذوف وجوباً فالتقدير: اتق نفسك أن تتعرض للكرائم، وأشار بالعطف إلى أن أخذ الكرائم ظلم، ولكنه عمم، إشارة إلى التحرز عن الظلم مطلقاً.

والمراد بقوله: «**فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**»، تعليل الاتقاء؛ لأن دعوة المظلوم ليس لها صارف يصرفها ولا مانع فهي مقبولة حتى وإن كان المظلوم عاصياً، كما في حديث أبي هريرة عند أحمد[1] مرفوعاً: «**دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجراً ففجوره على نفسه**»، وإسناده حسن.

وفي هذا بيان بأن دعوة المظلوم مستجابة مطلقاً ولكن هذا الإطلاق مقيد بأحاديث أخرى تفيد أن الداعي على ثلاث مراتب: إما أن يعجل له ما طلب وإما أن يدخر له أفضل منه، وإما أن يدفع عنه من السوء مثله.

ويلاحظ أنه لم يرد في هذا الحديث ذكر الصيام ولا ذكر الحج، مع أن بعث معاذ ﷺ كان في آخر الأمر، وذلك لاهتمام الشارع بالصلاة والزكاة ولهذا تكرر ذكرهما في القرآن؛ لأن الصلاة والزكاة إذا وجبا على المكلف لا يسقطان عنه أصلاً بخلاف الصوم فإنه قد يسقط بالفدية، والحج فإن الغير قد يقوم مقامه عند عدم الاستطاعة البدنية أو بعد الموت.

كما نلاحظ أيضاً أن الأركان الخمسة: منها ما هو اعتقادي كالشهادتين، ومنها ما

(1) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 2/ 367).

هو بدني كالصلاة، ومنها ما هو مالي كالزكاة، فاقتصر في الدعاء إلى الإسلام عليها ليفرع الركنين الأخيرين عليها، فإن الصوم بدني محض، والحج بدني مالي، وأيضاً فإن كلمة الإسلام هي الأصل وهي شاقة على الكفار، والصلوات شاقة لتكررها، والزكاة شاقة لما في جبلة الإنسان من حب المال، فإذا أذعن المرء لهذه الثلاثة كان ما سواها أسهل عليه بالنسبة إليها.

والرواية المذكورة للإمام مسلم: (عن ابن عباس ﷺ: أن معاذا..).

وقد ذكر الإمام مسلم قبلها رواية بلفظ: (عن ابن عباس، عن معاذ بن جبل...).

وإنما ذكر الإمام مسلم الروايتين لمزيد الحيطة والدقة، حيث إن جماهير العلماء قالوا: «أن» كـ«عن» فيحمل على الاتصال. وقال جماعة: لا يلتحق (أن) (بعن) بل تحمل (أن) على الانقطاع ويكون مرسلاً ولكنه هنا يكون مرسل صحابي له حكم المتصل على المشهور، وفيه قول الأستاذ أبي إسحاق الإسفراييني: أنه لا يحتج به فاحتاط مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ وبيّن اللفظين.

ولفظ الرواية التي معنا وهي (عن ابن عباس ﷺ أن معاذاً)، يفيد أن الحديث من مسند معاذ.

وأما الرواية التي بعد ذلك عند مسلم وهي: «عن ابن عباس أن النبيّ ﷺ بعث معاذاً إلى اليمن...» فمن مسند ابن عباس.

ووجه الجمع بينهما أن يكون ابن عباس سمع الحديث من معاذ فرواه تارة عنه متصلاً، وتارة أرسله، فلم يذكر معاذاً وكلاهما صحيح؛ لأن مرسل الصحابي إذا لم يكن المحذوف معروفاً يكون حجة، فكيف إذا عرف في الحديث أنه معاذاً، ويحتمل أن ابن عباس سمعه من معاذ وحضر القضية فتارة رواها بلا واسطة لحضوره إياها وتارة رواها عن معاذ، إما لنسيانه الحضور أو لمعنى آخر.

ما يؤخذ من الحديث:

1 ـ الدعوة إلى التوحيد قبل القتال.

2 ـ الوتر ليس بفرض.

3 ـ قيام الإمام أو نائبه بقبض الزكاة وصرفها للفقراء، وإن من امتنع تؤخذ منه قهراً.

4 ـ قال الخطابي: وقد يستدل به ـ أي الحديث ـ من لا يرى على المديون زكاة ما في يده إذا لم يفضُل من الدين الذي عليه قدر نصاب؛ لأنه ليس بغني إذا كان إخراج ماله متحقاً لغرمائه.

5 ـ واستدل بعض العلماء بهذا الحديث على أنه يكفي إخراج الزكاة إلى صنف واحد، وفيه بحث كما قال ابن دقيق العيد، لاحتمال أن يكون ذكر الفقراء لكونهم الغالب في ذلك وللمطابقة بينهم وبين الأغنياء.

6 ـ قبول خبر الواحد ووجوب العمل به.

7 ـ لا تدفع الزكاة إلى الكافر لعود الضمير في قوله: «**فقرائهم**» إلى المسلمين.

obeikandl.com

إن لربك عليك حقاً
ولنفسك عليك حقاً

قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ حدثنا محمد بن بشار، حدثنا جعفر بن عون، حدثنا أبو العميس عون بن أبي جعفر، عن أبيه، قال: آخى النبيّ ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلة، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً فقال له: كل، قال: فإني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب يقوم فقال: نم، فلما كان في آخر الليل، قال سلمان: قم الآن فصليا، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً فأعط كل ذي حقٍّ حقَّه، فأتى النبيّ ﷺ فذكر ذلك له، فقال له النبيّ ﷺ: «**صدق سلمان**»[1].

في هذا الحديث عدة دلالات على سماحة الإسلام، وعلى دقة التشريع السماوي، حيث كفل الحقوق التي يجب أن يراعيها الإنسان المسلم، فهناك حق لله تعالى يجب على الإنسان أن يؤديه، وهناك حق للأهل على الإنسان يجب أن يقوم به، وهناك حق للنفس على صاحبها أن يتنبه إليه، ويعطي كل ذي حق حقه، بحيث لا يشغله جانب عن آخر، وبحيث لا يقصر في حق على حساب الآخر.

ولقد بدأت القصة ببيان صورة من صور المؤاخاة التي عقدها رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، وقد ذكر أصحاب المغازي: أن المؤاخاة بين الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، وقد وقعت مرتين: الأولى قبل الهجرة بين المهاجرين خاصة على المواساة والمناصرة، فكان من ذلك أخوة زيد بن حارثة، وحمزة بن عبد المطلب، ثم آخى النبيّ ﷺ بين المهاجرين والأنصار بعد أن هاجر، وذلك بعد قدومه المدينة.

---

(1) أخرجه **البخاري** في (الحديث: 1968)، وأخرجه **مسلم** في (الحديث: 6139).

وهذا نموذج الأخوين ممن آخى بينهم رسول الله ﷺ، وهما: سلمان وأبو الدرداء، لقد ربط الإسلام بينهما برباط وثيق، فكانا يتناصحان على الخير، ويوجه أحدهما صاحبه إلى طريق الإسلام وهداه، وإلى ما ينبغي أن يكون عليه الإنسان المسلم، من أداء حق ربه سبحانه وتعالى: وأداء حق نفسه وحق أهله، ولقد زار سلمان أبا الدرداء فوجد امرأته رثة الهيئة، متبذلة، تلبس ثياب المهنة تاركة للبس ثياب الزينة، فقال لها: ما شأنك؟ وفي رواية الترمذي: يا أم الدرداء، أمتبذلة؟ فأجابت قائلة: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، وذلك لأنه يجهد نفسه في العبادة، ويعزف عن طيبات الحياة، وعن التمتع بالحلال ويعزف عن النساء.

ولما جاء أبو الدرداء، وضع لسلمان الطعام. وقدمه إليه ليأكل فقال له سلمان: كل، فقال أبو الدرداء: إني صائم، وأبى سلمان وهو الضيف أن يأكل من طعام أبي الدرداء حتى يأكل معه.

وهدفه من وراء ذلك أن يصرفه عن رأيه وخطته التي يسير عليها فيما يصنعه من إجهاد نفسه في العبادة، وفي غير ذلك مما شكته إليه امرأته، فقد قال سلمان له: ما أنا بآكل حتى تأكل. فأكل وهذه ناحية من النواحي التي كان يلزم بها نفسه وذلك بالصيام.

وهناك ناحية أخرى: وهي قيام الليل، إنه كان يأخذ بالقيام لا يعطي جسده قسطاً من الراحة، ولا يعطي نفسه حقها في النوم، ولا يعطي أهله كذلك، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم. فقال: نم، فنام ثم ذهب يقوم، فقال: نم، فلما كان آخر الليل، قال سلمان: قم الآن فصليا، وبهذا التصرف العملي أراد سلمان توجيهه إلى ما ينبغي أن يتبعه في حق الله وحق نفسه، وحق أهله، وعندئذٍ واجهه بالحقيقة وأرشده إلى ما يحسن اتباعه قائلاً له: إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حقٍّ حقَّه.

إن مقاييس التقوى والخوف من الله، ليست بأن يكلف العبد نفسه ما لا طاقة لها به وليست في الانهماك في العبادة، فقد يورث هذا عدم الاستمرار أو التقصير في الحقوق الأخرى، ويقطع على الإنسان مواصلة السير في الطاعة. ولكن مقياس الخشية والطاعة في المداومة، وفي الإقبال على العبادة بمحبة ورغبة، وتذوُّق لحلاوة

الإيمان، ولما ذكر أبو الدرداء ذلك لرسول الله ﷺ، قال له: «**صدق سلمان**»، وفي رواية الترمذي[1] وابن خزيمة: «**ولضيفك عليك حقاً**»، وعند الدارقطني: «**فصم وأفطر، وصل ونم، وائت أهلك، إن الإسلام دين اليسر، وما جعل عليكم في الدين من حرج**».

وفيما رواه الإمام مسلم ـ بسنده ـ عن أنس: أن نفراً من أصحاب النبيّ ﷺ سئل عن عمله في السر، فقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا أكل اللحم، وقال بعضهم: لا أنام على فراش. فحمد الله وأثنى عليه فقال: «**ما بال أقوام قالوا كذا وكذا، لكني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**»[2]، وهكذا أوضح الصحابي الجليل سلمان لأخيه المنهج الأمثل، والذي كان من أبي الدرداء إنما هو اجتهاد من نفسه وقد اتبع ما أشار به سلمان، وما أقره عليه الرسول ﷺ عندما أتاهما أبو سفيان وهو كافر قبل الإسلام في الهدنة بعد صلح الحديبية، أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر فقالوا: والله ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها قال: فقال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟ فأتى النبيّ ﷺ فأخبره فقال: «**يا أبو بكر، ولعلك أغضبتهم لئن كنت أغضبتهم. لقد أغضبت ربك**»[3] فأتاهم أبو بكر فقال: يا إخوتاه، أغضبتكم؟ قالوا: لا يغفر الله لك يا أخي.

ويستنبط من هذه القصة: أهمية النصيحة للمسلمين وفضل قيام آخر الليل، ومشروعية تزين المرأة لزوجها، والتجوز في الأمور المستحبة إذا خيف منها الإفضاء إلى السآمة والملل، وتفويت الحقوق الواجبة وجواز الفطر من صوم التطوع وكراهية الحمل على النفس في العبادة: لا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

---

(1) أخرجه الترمذي في (الحديث: 2412).

(2) أخرجه مسلم في (الحديث: 5)، وأخرجه النسائي في (الحديث: 3217).

(3) أخرجه مسلم في (الحديث: 6361).

الشهادتان

«شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله»

تمثل الشهادتان الدعامة الأولى في الإسلام، والأساس الذي تقوم عليه سائر الأركان الأخرى، فشهادة أن لا إله إلا الله، هي العروة الوثقى التي شهد بها الله وملائكته وأولو العلم، قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: 18]، فهذه الشهادة تتضمن كمال العقيدة الإسلامية في جانب الله سبحانه وتعالى، وأنه الخالق والمدبر، وأنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: 110].

وأما الشهادة برسالة سيدنا محمد ﷺ، فتتضمن التصديق بكل ما جاء به من ربه، فشمل التصديق بأنه رسول الله، والتصديق بملائكة الله وكتبه ورسله، كما قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: 285].

وقد ثبتت رسالة الرسول ﷺ، وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ . . .﴾، [الأحزاب: 40] وأن دعوته عامة، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: 28].

والمراد بالشهادتين: النطق بهما والتصديق بما يشتملان عليه والاعتقاد الراسخ بوحدانية الله تعالى، وأنه لا شريك له، وتنزيهه سبحانه عن صفات الحوادث من وجود الولد والوالد أو غير ذلك من كل ما لا يليق بكماله كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: 1 ـ 4]، كما أن الشهادة تعني كذلك بما تدل عليه: أن الله حي قيوم قادر على كل شيء، لا تأخذه سنة ولا نوم، عليم بكل شيء: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ

﴿ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: 255].

والشهادة برسالة الرسول تحتوي ذخيرة الرسالات، وكمال الفضائل وتمام الدين، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: 3].

وقد وضح الرسول ﷺ دعائم الإسلام في حديثه الجامع الذي رواه البخاري بسنده، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج، وصوم رمضان**»[1].

وكلمة الشهادة يطلق عليها كلمة الإخلاص أو كلمة التوحيد، وذلك لأن فيها إقراراً بوحدانية الله تعالى وتصديقاً به وبما جاء به رسوله؛ ولأن فيها اتجاهاً لله وحده لا شريك له، فالعبادة خالصة والدين خالص لله، وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾﴾ [الزمر: 2]، وقال تعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾﴾ [الزمر: 11].

وقد كان شعار الرسول ﷺ بالنسبة لصلته بالله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: 162، 163].

وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «**من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده لا شريك له، وأقام الصلاة وآتى الزكاة فارقها والله عنه راض**»، رواه ابن ماجه[2] والحاكم[3]، وقال: صحيح على شرط الشيخين.

---

(1) أخرجه مسلم في (الحديث: 113).
(2) أخرجه ابن ماجه في (الحديث: 70).
(3) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (الحديث: 2/332).

حقيقة الإيمان

عن العباس بن عبد المطلب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً**»[1].

الشرح:

قبل أن أتناول ما جاء في هذا الحديث من جوانب هامة، ينبغي ـ أولاً ـ أن أوضح المراد بالإيمان في قوله: «**ذاق طعام الإيمان**»، والمراد بالإسلام في قوله: «**بالإسلام ديناً**».

أما المراد بالإيمان، فهو كما جاء في الحديث: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»، والإسلام هو: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا، وهذا بيان لأصل الإيمان وهو التصديق الباطن وبيان لأصل الإسلام وهو الاستسلام والانقياد الظاهر، وحكم الإسلام في الظاهر، ثبت بالشهادتين، ولكن انضم إليهما الصلاة والزكاة والصيام والحج لكونها أظهر شعائر الإسلام، واسم الإيمان يتناول ما فسر به الإسلام وسائر الطاعات لكونها ثمرات التصديق الباطن ومتممات له.

ولكن ما المراد بالإسلام في الحديث الذي معنا، يراد به الانقياد كما في حديث جبريل، أم يراد به مجموع ما يعبر بالدين عنه كما في حديث: «**بني الإسلام على خمس؟**» نقول: إن مما يؤيد الاحتمال الثاني وهو مجموع ما يعبر بالدين عنه: اقترانه بالدين في قوله: «**وبالإسلام ديناً**»؛ لأن الدين جامع لاتفاق، وعطف قوله: «**وبالإسلام**

---

(1) أخرجه مسلم في (الحديث: 150).

دينا» على قوله: **«من رضي بالله ربًا»**، من عطف العام على الخاص، وكذلك قوله: **«وبمحمد رسولاً»**. وفي الحديث تشبيه الأمر الحاصل الوجداني من الرضا بالأمور المذكورة بمطعوم يستلذ به ثم ذكر المشبه به وأراد المشبه. ولكن ليس الرضا بالأمر الثالث وهو قوله: **«وبمحمد رسولاً»** مستلزماً للأولين؟ نقول: بلى ولكنه أراد أن يفيدنا التصريح بأن الرضا بكل منهما مقصود.

وفي هذا الحديث الذي معنا يوضح الرسول صلوات الله وسلامه عليه بعض العلامات التي إذا تحققت في المسلم أحس بطعم الإيمان، وسرت حلاوته إلى قلبه، ومن هذه العلامات:

أولاً: أن يرضى المسلم بالله رباً، فيطمئن قلبه بالإيمان به، ويخصه وحده دون غيره.

أما اطمئنان القلب بالإيمان فيجعل صاحبه يحس بالسعادة القلبية، والفرحة الوجدانية، يحسها حين يشهد أن لا إله إلا الله، وحين يذكر الله، وحين يتوضأ فيقبل على الصلاة بانشراح صدر وهمة ونشاط، يحسها وهو يناجي ربه في مصلاه، لا سيما بعد صلاة الفجر حين يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود وينشق نور الفجر بقسمته الرطيبة الريانة، وبعد أن يؤدي الصلاة ويردد في ختامها: رضيت بالله رباً والإسلام ديناً، وبمحمد نبياً ورسولًا. ويحسها وهو يتلو كتاب الله لا سيما قرآن الفجر لأن قرآن الفجر كان مشهوداً فيحس أن ربه يناجيه وهكذا.

وإنه ليذوق طعم الإيمان وهو يجاهد في سبيل الله ولإعلاء كلمة الحق، وتحت أزيز الطائرات، ودوي القنابل، وهزة المدفع، يحسها لو عذب في سبيل الله، كما كان من بلال ﷺ وهو في شدة التعذيب والتنكيل يحس ويذوق طعم الإيمان فيستعذب الأذى في سبيل الله ويهتف من أعماقه: أحد، أحد.

وأما الأمر الثاني: مما يعنيه الرضا بالله رباً: فهو اختصاص الله وحده بالعبادة فلا يتجه العبد لغير الله، والاستعانة بالله وحده فلا يستعين بغير الله، وهذا هو المراد بقول الله تعالى في فاتحة الكتاب التي تكرر في كل ركعة من الصلاة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ

﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾، وكما قال الرسول ﷺ: **«إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله»**[1].

ثانياً: أن يرضى بالإسلام ديناً، فيقر من أعماقه ومن كل قلبه وكيانه بأنه لا إله إلا الله، وبأن محمداً عبده ورسوله، ويقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويصوم رمضان، ويحج البيت إن استطاع إليه سبيلاً، ويسلم وجهه لله رب العالمين، فلا يدين بغير الإسلام، ولا يسلك إلا ما يتفق مع روح الشريعة الغراء، ولا يبتغي غير الإسلام ديناً، فإن من يبتغي غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين.

وحين نردد ما قاله رسولنا صلوات الله وسلامه عليه في هذا الحديث: **«ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً»** نهيب بشباب أمتنا المسلمة أن يتمسكوا بعقيدتهم، وأن يحرسوا حدود دينهم، وأن يقاوموا كل ما يفتريه البعض ممن سقط فريسة العقائد المزيفة، والمذاهب المادية التي لا ترضى بالإسلام ديناً كالشيوعية والوجودية وغير ذلك من موجات التحلل والإلحاد التي حاول الغزو الفكري أن يبث سمومها في صفوف الشباب، باعتبارهم أسرع الفئات إلى الميل لكل جديد وبما فيهم من حماس، ونهيب بأمتنا التي رضيت بالإسلام ديناً ألا تسمح لتلك الصحف والأفكار أن تتسرب إلى المحيط الإسلامي بحال من الأحوال، وأن يأخذ جميع المسلمين عن بكرة أبيهم في مقاومة كل من لا يرضى بالإسلام ديناً.

ثالثاً: الرضا بمحمد رسولاً، وذلك بأن يقر برسالته ونبوته ويطمئن بها، وأن يحب رسوله صلوات الله وسلامه عليه ويتخذ منه الأسوة الحسنة، كما قال الله سبحانه تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١﴾ [الأحزاب: 21]، فهو الرسول الذي جاء رحمة من عند الله رب العالمين، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ۝١٠٧﴾، وهو الرسول الحريص على هداية الأمة والحريص على ما يسعدها، وهو الرؤوف بها والرحيم بها والشفيع لها وصدق الله إذ يقول: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨﴾ [التوبة: 128]، فهو بحق رحمة ربنا المهداة ونعمته المسداة، أرسله الله رحمة يرحم الناس فيخرجهم من الظلمات إلى النور ويهديهم إلى صراط مستقيم.

---

(1) أخرجه الترمذي في (الحديث: 2516).

وأيضاً فحين نردد الفقرة الثالثة من الحديث: «.. **وبمحمد رسولاً**»، يجب أن يقر المسلم بأنه صلوات الله وسلامه عليه خاتم الأنبياء والمرسلين كما قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: 40]، وكما قال الرسول صلوات الله وسلامه عليه: «**أنا العاقب فلا نبي بعدي**»[1]، وليعلم أولئك الذي ضلوا وأضلوا واتبعوا «القاديانية» أو «البهائية» أو غيرهما من فرق الضلال والبغي الذين ادعى كبراؤهم ورؤوس الضلال منهم أن لهم نبياً آخر، كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً، وأي كذب أبشع من هذا الادعاء الذي قام على الباطل والافتراء، فهذه الفرق الباطلة أقام الاستعمار زعماءها وساندهم، بعد بحث عميق لتشتيت قوى الإسلام ومحاربته، وهي تحمل اسمه لتضلل بعض ضعاف القلوب.

وإنا لنهيب بالمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أن يتمسكوا بعقيدتهم الصحيحة وبدينهم الذي ارتضاه الله لهم، وأكمله على يد خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليه كما قال سبحانه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: 3].

ولطالما وجّه الرسول ﷺ أمته إلى سلامة العقيدة وبيان منزلتها كآخر الأمم بُعِثَ لها آخر الرسل وخاتمهم فقال: «**أنا آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم**»[2]، رواه ابن ماجه والحاكم، وفيما رواه الإمام أحمد قال ﷺ: «**لا نبي بعدي ولا أمة بعدكم**»[3].

كما أن الرضا بمحمد رسولاً يشمل أيضاً عموم رسالته صلوات الله وسلامه عليه، وما دمنا نؤمن ونقر برسالته وأنه رسول الله وخاتم المرسلين وأن ما جاء به من كتاب من عند الله حق وأن سننه الشريفة حق، فلا بد أن نقر بأن رسالته عامة وشاملة غير محدودة بزمان أو مكان، فمن خصوصياته ﷺ كما أخبر هو عنها: «.. **وكان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة**»[4]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾، بهذه الأمور مجتمعة يذوق المسلم طعم الإيمان ويستشعر مخالطة

---

(1) أخرجه **البخاري** في (الحديث: 3532) و(الحديث: 4896)، وأخرجه **مسلم** في (الحديث: 6058) و(الحديث: 6059)، وأخرجه **الترمذي** في (الحديث: 2840).

(2) ذكره **السيوطي** في «الدر المنثور» (الحديث: 2/ 244).

(3) أخرجه الإمام **أحمد** في «مسنده» (الحديث: 1/ 182) و(الحديث: 1/ 183).

(4) أخرجه الإمام **أحمد** في «مسنده» (الحديث: 3/ 304).

بشاشته لقلبه، ويتطابق مع هذا الحديث الشريف حديث آخر يصرح بأن للإيمان حلاوة يجدها من يقدم محبة الله ورسوله على كل ما سواهما ومن يحب المسلم لله، ومن يعتصم بدينه ويتمسك به فلا يعود للكفر أبداً قال ﷺ: **«ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»**[1].

ما يؤخذ من الحديث:

1 ـ أن للإيمان طعماً وحلاوة يستشعرها كل مؤمن صادق الإيمان.

2 ـ أن السعادة النفسية التي افتقدتها مجتمعات بشرية كثيرة لم تفتقدها بقلة مال ولا بتأخر حضارة، وإنما افتقدتها لبعدها عن الإيمان بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً.

3 ـ أن الدعوة إلى الالتجاء إلى الله وصدق الإيمان والتمسك بالدين وبكتاب الله وبسنة رسوله ﷺ، من أهم العلامات المميزة للمجتمع الإسلامي الصالح.

(1) أخرجه البخاري في (الحديث: 16) و(الحديث: 6941)، وأخرجه مسلم في (الحديث: 163) و(الحديث: 6059)، وأخرجه الترمذي في (الحديث: 2624).

obeikandl.com

حلاوة الإيمان

عن أنس ﷺ عن النبيّ ﷺ قال: «**ثلاثة من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار**»[1]، رواه مسلم.

يصور لنا الحديث خصال الإيمان وأماراته التي إذا تحققت أصاب المسلم حلاوة الإيمان وسعد به، وحلاوة الإيمان تتجلى واضحة بأن يستلذ المسلم للطاعات ويستعذب الأذى في سبيل مرضاة ربه، ويتحمل المشقات في رضى الله ورسوله ويؤثر ذلك على أعراض الدنيا.

وتظهر محبة العبد لربه، بقيامه بطاعة الله وفعل أوامره، وتركه لمعصية الله واجتناب نواهيه، وكذلك الحال بالنسبة لمحبة الرسول ﷺ فهي تظهر اتباعة والاقتداء به وذلك دليل محبة الله تعالى كما قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: 31].

وتظهر محبة الإنسان المسلم لأخيه صادقة بعيدة عن أية محبة أو غرض هابط، بل يكون رائد هذه المحبة الإيمان بالله، وهذا النوع من الحب يرفع صاحبه يوم القيامة إلى درجة يستظل فيها بظل ربه يوم لا ظل إلا ظله، ففي الحديث: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله...**» ومنهم: «**ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه...**»[2].

وتظهر محبة الإنسان المسلم لدينه بتمسكه به واعتصامه بحبل ربه وعدم التفريط

---

(1) أخرجه **مسلم** في (الحديث: 163).

(2) أخرجه **البخاري** في (الحديث: 660)، وأخرجه **مسلم** في (الحديث: 2377)، وأخرجه **الترمذي** في (الحديث: 2391)، وأخرجه الإمام **أحمد** في «مسنده» (الحديث: 2/ 439).

في أمر من أوامره أو نهي من نواهيه، ووقوفه على حمى هذا الدين دفاعاً عنه، ورداً لشبهات المبتدعين والمنكرين، وبحيث يضحى في سبيله مهما كلفه ذلك، كما كان الحال بالنسبة للصحابة والسلف من الصالحين، فهذا بلال حين عذب ليصرف عن دينه ما زاده ذلك إلا إيماناً وتثبيتاً فكان يجيب على أهل الشرك والعناد الذين يعذبونه بقوله: أحد، أحد، ويستعذب العذاب في سبيل دينه.

يقول الإمام النووي: أصل المحبة: الميل إلى ما يوافق المحب ثم الميل قد يكون لما يستلذه الإنسان ويستحسنه كحسن الصورة والصوت والطعام ونحوها، وقد يستلذه لفعله للمعاني الباطنة كمحبة الصالحين والعلماء وأهل الفضل مطلقاً، وقد يكون لإحسانه إليه ودفعه المضار والمكاره عنه، وهذه المعاني كلها موجودة في النبيّ ﷺ لما جمع من جمال للظاهر والباطن وكمال خلال الجلال وأنواع الفضائل وإحسانه إلى جميع المسلمين بهدايته إياهم إلى الصراط المستقيم، ودوام النعم والإبعاد من الجحيم، وقد أشار بعضهم إلى أن هذا متصور في حق الله تعالى، فإن الخير منه سبحانه وتعالى اهـ، شرح النووي.

ولكن كيف قال ﷺ: **«مما سواهما»**، بضمير التثنية بينه وبين الله ﷻ، مع أنه أنكر على من فعل ذلك وهو الخطيب الذي قال: «من يعصهما فقد غوى» فقال: **«بئس الخطيب أنت»**[1].

ويجاب على ذلك أن المراد في الخطب الإيضاح وأما هنا المراد الإيجاز ليحفظ الحديث عنه، وقال القاضي عياض: أما تثنية الضمير هٰهنا فالإيمان على أن المعتبر هو المجموع المركب من المحبتين لا كل واحدة فإنها وحدهما ضائعة لاغية، وأمر بالإفراد في حديث الخطيب إشعاراً بأن كل واحد من العصيان مستقل باستلزامه الغواية.

وقيل: إن من الخصوصيات فتمتنع في غير النبيّ ﷺ ولا يمتنع منه؛ لأن غيره إذا جمع أوهم إطلاقه التسوية، بخلاف النبيّ ﷺ، فإن منصبه لا يتطرق إليه إيهام

(1) أخرجه **مسلم** في (الحديث: 2007)، وأخرجه **أبو داود** في (الحديث: 1099)، وأخرجه **النسائي** في (الحديث: 3279).

ذلك، ولقد وضح الله تعالى علامة تتميز بها محبة الإنسان لربه سبحانه وتعالى، قال الحسن: قال أصحاب النبيّ ﷺ: يا رسول الله، إنا نحب ربنا حباً شديداً، فأحب الله أن يجعل لحبه علماً فأنزل الله هذه الآية: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾.

وأهم دلائل الصدق في المحبة حفظ الحدود، والوقوف على ما أمر الله به والانتهاء عما نهى الله عنه، يقول يحيى بن معاذ: ليس بصادق من ادعى محبة الله ولم يحفظ حدوده، وسئل رويم عن المحبة فقال: الموافقة في جميع الأحوال وقال بعضهم:

تعصي الإله وأنت تزعم حبه ... هذا لعمري في القياس شنيع
لو كان حبك صادقاً لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

وقال وهيب بن الورد: بلغنا ـ والله أعلم ـ أن موسى عليه السلام قال: يا رب، أوصني؟ قال: أوصيك بي، قالها ثلاثاً حتى قال في الأخرى: أوصيك بي أن لا يعرض لك أمر إلا آثرت فيه محبتي على ما سواها، فمن لم يفعل ذلك لم أزكه ولم أرحمه.

وأما عن محبة الرسول ﷺ فهي كمحبة الله من صميم الإيمان والعقيدة، روى البخاري[1] بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده**»، وروى أيضاً عن أنس قال: قال النبيّ ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين**»[2]، وهذا من جوامع كَلِمِه عليه الصلاة والسلام، فإن المتمعن في هذا النص النبوي الشريف يرى أنه قد جمع المحبة بأنواعها الثلاثة. فمن أنواع المحبة: محبة الإجلال والتعظيم، كمحبة الابن لوالده.

والنوع الثاني: محبة الرحمة والأشفاق كمحبة الوالد لولده.

والنوع الثالث: محبة المشاكلة والاستحسان كمحبة الناس بعضهم لبعض، فجمع الرسول ﷺ الأنواع كلها.

---

(1) أخرجه **البخاري** في (الحديث: 14).

(2) أخرجه **مسلم** في (الحديث: 167)، وأخرجه **النسائي** في (الحديث: 5028)، وأخرجه **ابن ماجه** في (الحديث: 67).

وقال عمرو بن العاص ﷺ: وما كان أحد أحب إليّ من رسول الله ﷺ ولا أجلَّ في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له.

وإن عمر ﷺ لما سمع هذا الحديث قال: أنت أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي، فقال: «**ومن نفسك يا عمر؟**»، فقال: ومن نفسي، فقال: «**ومن نفسك يا عمر؟**»، فقال: ومن نفسي. فقال: «**الآن يا عمر**»[1].

وفي حديث آخر يوضح الرسول ﷺ ضرورة أن يحب المرء ما أمر به الله ورسوله، وأن يكره ما نهى عنه الله ورسوله.

قال ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به**»[2]، بمعنى: أن يكون تبعاً لما جاء به من الأوامر والنواهي.

وفي هذا المعنى يقول الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: 65].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾.

وقد ذم الله سبحانه وتعالى من كره ما أحبه الله، أو أحب ما كرهه الله، فقال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾﴾ [محمد: 9]، وقال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾ [محمد: 28].

إن أولى أمارات الإيمان محبة الله ورسوله، وأن يكون الله ورسوله أحب إلى المسلم مما سواهما.

أما أن أحب شيئاً ما أكثر من الله ورسوله فله الوعيد الشديد على ذلك، حتى ولو كان ذلك أباه أو ابنه أو أخاه أو زوجه، أو عشيرته أو ماله أو تجارته أو مسكنه. قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ

(1) أخرجه الإمام **أحمد** في «مسنده» (الحديث: 4/ 336).

(2) أخرجه **البغوي** في «شرح السنة» (الحديث: 1/ 213)، وذكره **ابن حجر** في «فتح الباري» (الحديث: 13/ 289).

تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [التوبة: 24].

وإذا كانت العلامة الأولى تتمثل في حب الله ورسوله، أو في علاقة الإنسان بربه ورسوله، فإنها تعني إلى جوار طاعتهما التمسك بكتاب الله العزيز، وبسنة الرسول ﷺ.

وأما العلامة الثانية: فإنها تعني علاقة المسلم بأخيه، والعلاقات الإنسانية في الإسلام وضعها الكريم ووزنها الهام.

وحسبنا في الدلالة على احترام الإسلام للعلاقات الإنسانية وصيانتها من كل الآفات أن يرتفع الإسلام بمستواها إلى درجة الحب، وليس الحب فحسب بل الحب المجرد من الأهواء والأغراض، الحب الخالص لله، «**وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله**».

ولا تقف علاقة المسلم بأخيه عند درجة الحب الخالص في الله فحسب، بل إنها تسمو إلى أن تصبح محبة مماثلة لمحبة الإنسان لنفسه. فيقول الرسول ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[1]، وهذا يعني كذلك أن يكره لأخيه ما يكرهه لنفسه.

وقد بين الإسلام جزاء هذه المحبة والمكافأة عليها فقال ﷺ: «**قال الله تعالى، وجبت محبتي المتحابين فيّ، والمتجالسين فيّ، والمتزاورين فيّ والمتباذلين فيّ**»[2].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**يقول الله تعالى يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي، اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي**»[3].

ومحبة الإنسان المسلم لأخيه تكون في الله ولله إذا أحبه وألفه؛ لأنه يحب الله

(1) أخرجه البخاري في (الحديث: 13)، وأخرجه مسلم في (الحديث: 168)، وأخرجه الترمذي في (الحديث: 59)، وأخرجه النسائي في (الحديث: 5031)، وأخرجه ابن ماجه في (الحديث: 66)، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 3/ 176)، وأخرجه الدارمي في «سننه» (الحديث: 2/ 307).

(2) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 5/ 247).

(3) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (الحديث: 10/ 233).

ويطيعه، أو لأنه يعينه على دينه ويساعده على طاعة الله سبحانه، أو لأنه يعينه على دنياه التي يستعين بها على آخرته.

وهناك نوع من محبة الإنسان لأخيه لم تأخذ صفة المحبة لله ولكنها مباحة، حيث لا يترتب عليها معصية، ولا ما يغضب الله، ذلك كمحبة الإنسان لمن وجد طبعه يميل إليه وتأنس روحه لروحه ويعينه على ما يتمتع به من دنياه، فهذا النوع من المحبة طبيعي نفساني مباح وقد لا يخلو من خير.

أما النوع الثالث من محبة الإنسان لأخيه فهو أن يحبه؛ لأنه يعينه على الظلم والعدوان، أو المعصية والبهتان، فتلك محبة مذمومة، وصحبة كريهة ليست في سبيل الله، وإنما هي في سبيل الشيطان، وتنقلب إلى عداوة في الآخرة، وقد تنقلب أيضاً إلى عداوة في الدنيا، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف: 67].

والعلامة الثالثة: «**وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار**».

والإنقاذ من الكفر عام يشمل إنقاذه منه ابتداءً ومولداً ووجوداً حيث ولد على الإسلام، فسار مع فطرة الله الخالصة التي فطره عليها واستمر على الإسلام مؤمناً بالله رباً وبمحمد رسولاً وبالإسلام ديناً، كما يشمل الإنقاذ من الكفر إنقاذه منه بالخروج من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان بالله، كما حدث للكثيرين ممن كان غير مسلم ثم اعتنق الإسلام.

وعلى المعنى الأول: يكون قوله: «**يعود**»، على معنى الصيرورة بخلاف المعنى الثاني، فإن العود فيه على ظاهره، وقد عدى الفعل «يعود» بـ«في» ولم يعده بـ«إلى»؛ لأنه ضمنه معنى الاستقراء كأنه قال: يستقر فيه، ومثله قول الله تعالى: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ﴾ [الأعراف: 89].

وهذه الصفة الثالثة تقتضي التمسك بالإسلام عقيدة وتشريعاً وأحكاماً وآداباً، كما تقتضي الاعتصام بالكتاب والسنة وعدم الانحراف عنهما، وألا يتبع المسلم تلك الأهواء والبدع، ولا ما يفسد عقيدته ودينه مما يهب على المجتمع الإسلامي بين الحين والحين من عواصف الإلحاد، ورياح الفتن والفساد.

وهذه الصفة تحيط عقيدة المسلم بسياج من الحفظ والاستمساك بها، بحيث إن المسلم لا يقع في الكفر فحسب؛ بل إن مشاعره تنطوي على الكراهية لمجرد الرغبة في العودة، كما يكره أن يقذف في النار، وكيف لا وفي الكفر نار تحرق اعتقاد الإنسان وتوقعه في الشر ولهب المعصية وفي الآخرة عذاب جهنم وبئس المصير، فكيف إذاً لا يكره الكفر والرجوع إليه، وذلك يقتضي أيضاً أن يكره كل ما يؤدي إلى الكفر من السبل المتفرقة المتحللة ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: 153]، وألا يتبع الكافرين والمضلين حتى لا يضلوه عن طريق الخير والرشاد.

ما يؤخذ من الحديث:

1 ـ أن للإيمان حلاوة يحسها كل مؤمن صادق كامل الإيمان محب لله ولرسوله ولإخوانه ولدينه.

2 ـ أنه يجب على المسلم أن يقدم محبة الله ورسوله وطاعة الله ورسوله على كل شيء في الدنيا، وأن يتمسك بالكتاب والسنة.

3 ـ وأن تكون علاقة المسلم بأخيه علاقة محبة خالصة لله.

4 ـ أن تنطوي مشاعر المسلم على حب لدينه، وتمسك بعقيدته واعتصام بها، وغيرة على حدودها.

فضل الحياء

عن أبي هريرة ﷺ، عن النبيّ ﷺ أنه قال: «**الإيمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الإيمان**»[1].

المفردات:

(البضع): بكسر الباء، وقد تفتح: هو قطعة من العدد، تطلق على العدد من الثلاث إلى التسع، وقيل: إلى العشر، وقيل: إلى الخمس، قال الفراء: هو خاص بالعشرة إلى التسعين فلا يقال: بضع ومائة ولا بضع وألف.

وتضاف إلى لفظ بضع الهاء مع المذكر، ويكون مع المؤنث بدونها.

بضعة وعشرون رجلاً، وبضع وعشرون امرأة، وفي بعض الروايات: «بضعة» على تأويل الشعبة بالنوع.

(والشعبة): بالضم هي القطعة، والمراد بها: الخصلة.

المعنى:

يوضح الرسول ﷺ ما ينطوي عليه الإيمان من محامد الفعال وكريم الخصال، وأنها كثيرة، فهي بضع وستون شعبة.

وفي رواية: «**بضع وسبعون**» وليس بين الروايتين تناقض، فالمراد: التكثير، وذكر البضع للترقي بمعنى: أن شعب الإيمان كثيرة لا حصر لها، قيل: إن المراد حقيقة العدد، ويكون قد صرح في بادىء الأمر بالبضع والستين؛ لأنه الذي وقع وحدث حينئذٍ، ثم زادت عشرة أخرى فنص عليها.

---

(1) أخرجه البخاري في (الحديث: 9)، وأخرجه مسلم في (الحديث: 151).

ثم نبه على شعبة من هذه الشعب هي أهمها، ألا وهي الحياء.

والحياء: خلق كريم يبعث على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق، وينشأ من الخوف من الله، واستشعار مراقبته، هذا تعريفه الشرعي.

وأما معناه في اللغة: فهو تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به.

والحياء يعصم المرء من مزالق الشر، ويفضي به إلى مسالك البر والفضيلة والخير.

وقد روي في حديث آخر ثمرات الحياء جملة فورد: «**الحياء خير كله**»، و«**الحياء لا يأتي إلا بخير**»؛ لأنه يوجه صاحبه إلى المعروف والطاعة، ويحجزه عن كل منكر ومعصية.

وتوضيح الحياء بهذا المفهوم، وهو أنه باعث على اجتناب القبيح، ومانع من التقصير هو الحقيقي الشرعي، أما حين يمتنع إنسان من قول الحق، أو من فعل الخير متعللاً بما يزعم من حياء، فليس هذا من الدين، ولا من الحياء في شيء، بل هو عجز ومهانة، ولا ينشأ إلا من ضعف الدين.

وخص الرسول ﷺ شعبة الحياء بالذكر دون سائر الشعب، تنبيهاً على ما للحياء من أثر في سلوك الإنسان، فالحياء يدعو إلى سائر الخصال الحميدة، والحيي يخشى الله تعالى ويخاف فضيحة الدنيا والآخرة، فيأتمر بأمر ربه، وينتهي بنهيه. أما من لا حياء عنده فلا خير فيه؛ لأنه لا يرى بأساً في إعلان فسقه أو شره، ومن هنا وجب تحذير الناس منه، ومن ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له.

وقد اجتهد بعض السلف في حصر ما تفرعت عنه شعب الإيمان، فمنها ما يتعلق بأعمال القلب: كالإيمان والإخلاص والحب في الله. ومنها ما يتعلق بأعمال اللسان كالتوحيد والذكر وتلاوة القرآن والاستغفار. ومنها ما يتعلق بالبدن كالصلاة والزكاة والصيام والحج وهكذا.

وفي رواية مسلم ما يشير إلى أن شعب الإيمان متفاوتة علواً ونزولاً، «**أعلاها: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**» أي: تنحيته من طريق المسلمين،

وكثيراً ما كان رسول الله ﷺ يحث على التخلق بالحياء.

وقد مر على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء ليكف عنه، لما يزعم أن فيه ضعفاً، فنهاه الرسول ﷺ، وقال: «**دعه فإن الحياء من الإيمان**»[1].

وكان ﷺ خير من تمثل في شخصه الشريف خلق الحياء، فهو رقيق الشعور، دقيق الإحساس، إذا رأى شيئاً لا يحبه مما لا يتصل بشأن الدين ظهر في وجهه وعرفه أصحابه، أما ما يتصل بأمور الدين فكان أسرع ما يكون إلى تغييره ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها، فإذا رأى شيئاً يكرهه عرفناه في وجهه.

وحسب هذه الفضيلة شرفاً أنها خلق الإسلام كما قال ﷺ: «**إن لكل دين خلقاً، وإن خلق الإسلام الحياء**»[2].

بل إن الحياء هو خلق كل الأديان، قال ﷺ: «**إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت**»[3].

وأما التفقه في الدين فلا ينبغي أن يستحيا منه، جاءت أم سليم إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن الله لا يستحيي من الحق، فهل على المرأة غسل إذا احتلمت؟ فقال: «**نعم إذا رأت الماء**»[4].

وقد عد بعض العلماء تلك الشعب منهم ابن حبان، ولخص الحافظ ابن حجر في الفتح ما أورده، وبين أنها تتفرع من أعمال القلب وأعمال اللسان وأعمال البدن كما سبق.

---

(1) أخرجه **أبو داود** في (الحديث: 4795).

(2) أخرجه **ابن ماجه** في (الحديث: 4181) و(الحديث: 4182).

(3) أخرجه الإمام **أحمد** في (الحديث: 4/ 121) و(الحديث: 5/ 372).

(4) أخرجه **البخاري** في (الحديث: 130) و(الحديث: 282)، وأخرجه **مسلم** في (الحديث: 710)، وأخرجه **الترمذي** في (الحديث: 122)، وأخرجه **النسائي** في (الحديث: 197)، وأخرجه **ابن ماجه** في (الحديث: 600)، وأخرجه الإمام **أحمد** في (الحديث: 6/ 292).

وأعلى أنواع الحياء: هو الحياء من الله تعالى، وذلك بطاعته سبحانه فلا يراك حيث نهاك، وهذا بمعرفته ومراقبته في السر وفي العلانية، وهذا هو المراد بقول الرسول ﷺ فيما أخرجه الترمذي[1] عنه ﷺ أنه قال: «**استحيوا من الله حق الحياء**»، قالوا: إنا نستحي والحمد لله، فقال: «**ليس ذلك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى، وتذكرت الموت والبلى، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء**».

وقد جعل الحياء شعبة من الإيمان مع أنه من الغرائز؛ لأنه قد يكون غريزة، وقد يكون تخلقاً، ولكن استعمال الحياء في الشرع لا بد له من نية واكتساب، فكان من الإيمان لهذا ولأنه يبعث على فعل الطاعات، ويمنع من ارتكاب المعاصي والمخالفات.

والمراد بالإيمان في الحديث: هو الإيمان الكامل الذي يتكون من التصديق والإقرار والعمل.

ويستفاد من الحديث أمور:

1 ـ اشتمال الإيمان على فعال حميدة، وخصال من الخير كثيرة.

2 ـ أهمية الحياء في الإسلام، وأن من لا حياء عنده فلا خير فيه.

3 ـ توجيه الرسول ﷺ أمته إلى ما فيه صلاحاً في الدنيا والآخرة.

4 ـ أن الإيمان يطلق في الحديث كثيراً على المعنى الشامل للتصديق بالقلب، والنطق باللسان، وعلى الأعمال البدنية وعلى الفضائل، ونظيره من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ [الحجرات: 7].

---

(1) أخرجه **الترمذي** في (الحديث: 2458).